

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) .

إن صاحب الخُلُق العظيم يستحيل أن يكون مجنوناً ، لأن المجنون لا ينضبط له سلوك ، ولا يتزن له قول ولا فعل . أما صاحب الخُلُق العظيم ، فكل كلمة عنده بميزان ، وكل فعل عنده بمقدار ، لا يضع الندى في موضع السيف ، ولا السيف في موضع الندى ، لا يمزح حيث ينبغي الجد ، ولا يسالم حيث ينبغي الحرب ، ولا يحارب حيث يجب السلام ، يعطى لكل ذى حق حقه ، فهو لا يضيع حق الرب ، ولا يهمل حق الخلق ، ولا ينسى حق النفس ، يسأل الله صلاح دينه الذى هو عصمة أمره ، وصلاح دنياه التى فيها معاشه ، وصلاح آخرته التى إليها معاده ، وبهذا يتم مكارم الأخلاق التى بُعث لتمامها . وهذا لا يتم إلا بأعلى أنواع العقل .

وقد ألّف الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - كتاباً سمّاه « التفكير فريضة إسلامية » وهو تعبير صحيح شرعاً ، فإن الله تعالى كما أمرنا بالتعبد وإقامة الشعائر من الصلاة والزكاة ، أمرنا بالتفكير والتفكير فى الآيات الكثيرة التى سقناها ، سواء جاءت باسم التفكير أو النظر أو الرؤية ، ولهذا قال من قال من السلف : تفكر ليلة خير من إحيائها ، وقال غيره : تفكر ساعة خير من عبادة سنة !

قال العلامة البقاعى فى تفسير هذه الآية : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ : « أى فاسمعوا ولا تنفروا خوفاً من أن أملككم ﴾ « أَنْ تَقُومُوا ﴾ أى توجهوا نفوسكم إلى تعزف الحق ، وعبر بالقيام إشارة إلى الاجتهاد ﴿ لله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، على وجه الإخلاص ، واستحضار ما له من العظمة ، بما له لديكم من الإحسان ، لا لإرادة المغالبة ، ﴿ مَثْنَى ﴾ أى اثنين اثنين ﴿ وَفَرَادَى ﴾